خطبة جمعة

الإِيمانُ بالغيْبِ

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله عالم الغيب والشّهادة، الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، المتفرِّد باستحقاق العبادة والرَّزق المُلك والتَّدبير، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله البشير النَّذير، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مزيدًا، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أمدًا مديدًا.

أمَّا بعدُ...

أيُّها المُؤمنُون..

إنَّ الله ﷻ أخرجنا من بطون أمَّهاتنا لا نعلمُ شيئًا، ثُمّ تفضَّل علينا إكرامًا فعلَّمنا ما نكن نعلم كما قال ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[العلق]، وإنَّ الله ﷻ جعل لنا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً لتكون آلةً نكتسب بها العلومَ والمعارف، وكل هٰذه العلومُ والمعارف التي عرفها البشر هي محض فضل الله ﷻ عليهم، والموارد الجامعة لبلوغهم لتلك العلوم هي السَّمع والبصر والفؤاد؛ لكنَّ علم أحدنا مهما بلغ شأوه وعظُم قدره ينتهي إلىٰ حدٍّ محدود، فإنَّ عالَم الإنسان ينتهي عِلمه إلىٰ عالم الشهادة الذي يشهده ويُبصره ويعلمه.

أمَّا ما وراء ذلك من الغيب فإنَّه شيء استأثر به اللهُ ﷻ وحده، فعلمك أيُّها الإنسان مهما بلغ مداه فإنَّه ينتهي إلىٰ حجابٍ مستور وبرزخ مانع عند علم الغيب الذي هو لله ﷻ وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾[يونس:٢٠]، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل:٦٥]، وجوامع الغيب كلِّها هي من علمه ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[الأنعام:٥٩]، أي: أصولُه الجامعة وخزائنه العظيمة المجموعة فيما أخبر به النَّبي ﷺ في آيةٍ من كتاب الله ﷻ كما قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمسٌ: إن الله عنده علم السَّاعة، وينزِّل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ما تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت**».

ولمَّا كان الأمر كذلك استحقَّ اللهُ ﷻ وحده أن يكون مسمًّىٰ بـ(عالم الغيب والشَّهادة) كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾[الأنعام]، وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾[الرعد]، وقال الله ﷻ: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾[المؤمنون]، وإنَّما قال ﷻ في هٰذه الآية ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تنزيهًا وتقديسًا لنفسه ﷻ عمَّا يدَّعيه المدَّعُون أنّ من الخلق من يعلم الغيب، فإنه مهما بلغت رتبة أحد عند الله ﷻ شرفا وعظمة فإنه لا يعلم الغيب، فهٰذا صَفوة الخلق محمَّد ﷺ يتبرَّأُ من ذلك كما أخبر الله ﷻ عنه فقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾[الأنعام:٥٠]، وأخبر ﷺ أنَّه لو كان كذلك لاستكثر من الخير كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾[الأعراف:١٨٨]، فعِلم الغيب محصور بالله ﷻ إلَّا أن يُطلع اللهُ ﷻ بوحيه من يشاء من خلقه علىٰ ما يشاء من غيبه، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾[آل عمران:٤٤]، فإنّما علِم النَّبي ﷺ المغيبات عنه فيما أخبر من الأمم السَّابقة، أو أوصاه الله ﷻ وأسمعه الحسنىٰ أو ما أعدّه الله ﷻ من الجزاء في الآخرة بعلم الله ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾[آل عمران:١٧٩]، والمعنىٰ أنَّه يختاره ويصطفيه ويُظهره الله ﷻ علىٰ غيبه كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾[الجن]، وإذا علم العبد أنَّ الغيب كلُّه لله ﷻ وأنه لا يكون لأحد من الخلق كائنا من كان علم شيء منه، فإن ذلك ينبغي أن يتمثل في جملة من الأصول الإيمانية:

أوّلها أن تؤمن بالغيب، فإنَّ علمك أيُّها الإنسان إن انتهىٰ إلىٰ عالم الشهادة، فإن وراءه غيب استأثر الله ﷻ به، وقد أخبرك عن أشياء منه كخبره ﷻ عن نفسه أو عن رسله أو الأمم السَّابقة أو الجزاء الذي يكون في الآخرة من جنَّة ونار، ومقتضىٰ ذلك أن تؤمن بصدق ما أخبر الله ﷻ عنه من غيب، وقد مدح الله ﷻ المتَّقين بإيمانهم بالغيب كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ ثم ذكر أوّل صفاتهم ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾[البقرة]، فيجب علىٰ العبد أن يؤمن بالغيب وأنَّ كلَّ

ما أخبر اللهُ ﷻ به صدق، وأنَّه إذا كان كذلك أدخله الله ﷻ الجنة، كما قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾[مريم] وإنَّما ذكر الله ﷻ جزاء جنّات من آمن بالغيب لتصديقهم أن ذلك يكون، ولذلك أخبر الله ﷻ في آخر الآية بصدقه كما قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ أي مجزومًا بإتيانه وقدومه أنه لا يتفلَّت.

ومن أصول الإيمان المتعلقة بالغيب أن تكون ملاحظًا لخشية الله ﷻ في الغيب، فإنَّ الناس في عامتهم ويتساوون في خشيتهم لله ﷻ في عالم الشهادة، ها نحن جميعا نصطف صفوفا في الصلاة وذلك شيء مشاهد من كل واحد من الآخر؛ لكنّ الإنسان إذا غاب عن غيره وجب أن يكون خشيته وإيمانه لله ﷻ أعظم وأكبر، وأن يكون خوفه أعظم وأجل، وإنَّ الله ﷻ يبتلي خلقه بذلك، كما قال الله ﷻ لمّا ذكر صيد المُحرمين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾[المائدة:٩٤]،فإنَّه عند امتثال الأمر واجتناب النَّهي يتميَّز من يخشىٰ الله ويخافه بالغيب، ومن يقول ذلك دعوىٰ مجرَّدة، ومن لزم ذلك فإنَّ له عند الله ﷻ أجرًا كبيرًا كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك].

ومن جملة الأصول الإيمانية التي تتعلَّق بالغيب أن تعلم أنَّ من أعظم الجناية هي الخيانة بالغيب، سواءً كانت خيانة الله ﷻ في أمره ونهيه، أو خيانة الخلق فيما كان بينك وبينهم من العُهود والمواثيق، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾[يوسف]، فإذا خان الإنسان في غيبه سواءً فيما يتعلق بعهده بينه وبين ربِّه أو في العهد الذي يكون بينه وبين الخلق فإنَّ الله ﷻ لا يصلح عمله، ولا يهدي كيده، وذلك يتضمَّن أمرين اثنين:

أوَّلهما: أنَّ الله ﷻ يظهر فضيحته وبواره في الدنيا والآخرة.

وثانيهما: أنه لا رتب علىٰ خيانته ما كان يأمله ويرجوه أنه يصيبه، فإن الله ﷻ يعاقبه بسلب ذلك بأنه كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

ومن جملة الأصول الإيمانية المتعلِّقة بالإيمان بالغيب أن تحبس لسانك عن المجازفة بالكلام في أمرٍ

غيبي لا تعلمه، فإنَّ من الأشياء ما نطَّلع عليها بعلم أكيد، ومن الأشياء ما لا نطَّلع عليه، وإن أمكن ذلك فمن كمال الإيمان أن يمنع الإنسان نفسَه في كلامه واعتقاده وفعله من المبادرة إلىٰ ادِّعاء شيء رجمًا بالغيب.

وقد ذمَّ الله ﷻ المتكلمين في أصحاب الكهف كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف:٢٢] فوبَّخهم الله ﷻ علىٰ جراءتهم علىٰ الكلام بالغيب إذ ادَّعوا تلك الدَّعوىٰ، وأخبر ﷻ أنه لا يعلمه إلا هو وإنما يعلمه من الخلق قليل.

ومن جملة الأصول الإيمانية المتعلِّقة بالإيمان بالغيب أن تعلم أن الله ﷻ يُحصي عليك عملك وأنك تردّ إليه ﷻ فينبئك به، كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾[التوبة]، وإنَّما ذكر الله ﷻ هٰذا الاسم عند الخبر بأن الله ﷻ يخبر عما كنا نعمل فإنَّ من النَّاس يعمل أعمالا في الغيب يظنه أنه تستره الجدران فيها؛ لكنّها إن سترته فإنها تستره عن أعين الخليقة فإنها لا تستره عن عين الخالق ﷻ.

ومن جملة الأصول الإيمانية المتعلِّقة بالإيمان بالغيب العلم بأن الله ﷻ يحكم بين عباده كما قال الله ﷻ: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾[الزمر]، فإذا جرىٰ خلاف بين الخلق، وإن أمكن لأحدهم أن يأخذ ما شاء ظلمًا وقهرًا، فإنَّ الله ﷻ يعلم حقيقة الأمر، وإن الله ﷻ إذا رُدَّت إليه الخليقة حكم بينهم ﷻ بكمال علمه بالغيب، فإنه إذا خفِيَ عن القضاة والشهود في الدنيا وإنه لا يخفىٰ علىٰ الله ﷻ في الآخرة.

وانظروا رحمكم الله إلىٰ جلالة الأصول الإيمانية المتعلّقة بالغيب وكم مرّت علينا الآيات التي المذكِّرة بالغيب، ولكن ... أنه أمرٌ معلوم فلا يحرك فيه شيئا، ولا يغيِّر فيه قدْرًا، ولا يحسن فيه تدبيرا وحالا؛ بل هو يسمع أن الله عالم الغيب والشهادة، يسمع أنه يُرد إلىٰ الله ﷻ فينبئه بما كان يعمل، ويسمع أنه يُرد إلىٰ الله ﷻ، ويحكم الله ﷻ حينئذ بين المختلفين، لكن ذلك لا يزيد إيمانه، وذلك كلُّه من أن الناس مؤمنون بالإيمان بالشّهادة وكلُّ الخليقة تؤمن بعالم الشهادة، وما حصل من افتراق من المؤمنين والكفَّار والبررة والفجَّار بهذا، وإنما الفرقان بين الطائفتين والبرزخ الفاصل بين المعسكرين هو الإيمان

بالغيب.

فاعلموا قدْر هٰذا الأصل العظيم من دينكم واحرصوا أن تكونوا من المؤمنين بالغيب.

اللّٰهمَّ اجعلنا من عابدك المؤمنين، وتولَّنا في الصَّالحين.

اللّٰهمَّ اقسم لنا خشيتك ما تحول بيننا وبين معصيتك، وطاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن علينا مصائب الدنيا.

اللّٰهمَّ متِّعنا من أسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدًا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا.

اللّٰهمَّ آت قلوبنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللّٰهمَّ أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

